شمس المدينة الساقطة

نوري الجرّاح

- ١ -

ميسونُ وجهك قطرة الفرح المخبّأ في جرار الخمر
نشربه إذا جنّ العذاب وراء منضدة الزمان.
لا تفتحي للعتم نافذة المساء
تحمّمي بالضوء،
ألبسك القصيدة
إنني نهرٌ
وأنت الضفّتان،
وأنت زهرتيَ القصيّةُ
والمدى
والليلُ
سوف أمرّ في الطرقات كالرجل الغريب
وأسأل الأطفال إن مرّت،
فينصرفون
- ميسون غابت في السماء وراء أسوار المدينه.
للريح وجهك والندى الفضيّ،
صوتك والنشيد
في الليل أرقب صمت غرفتك.
وأخال أن الباب يُفتح،
يقفز الفرح المخبّأ،
لا يعاصر عبر دفق القفزة الحدث المطل
أحطّم الفخار
أنثر كل أغطية المناضد
أدفع الزمن المراوح، لا يطلّ الوجه
يُوصد دونيَ البابُ
فأعود أدراجي إلى الأشجار

★ ★ ★

لا تفتحي للعتم نافذة المساء
الطير يركن في يدينا للهدوء الحلو
يجتاز المسافات الطويلة كي يعود إلى يدينا

★ ★ ★

لا،
ليس للأسوار أسماء الضحايا!
أو لهذا البحر طبع الصمت!
مرّ الغزاة وشطّبوا أسماءنا
وتناسلوا خلف الجدار.
وندائك يأتيني مع الأحزان
يرعش كل خاطرة
ويسكن في الغضب
قالت ليَ الأشجار:
توّجها بأرصفة الشوارع
بالظهيرة والعروق النافره
قالت ليَ الأشجار:
أشعلها نشيداً في العيون
وأنا أقول
هي المناديل،
اغتراب الوجه عن وجه الحبيب.
الحزن يحمل ألف ليلكةٍ
وقنبلة
يقيناً ان وجهك قطرة الفرح المخبّأ
غير أن الخمر تلجمنا وراء مناضد الزمن الرخيص
فلا تنامي ليلة الإعصار، يا ميسون
فالريح العتيّة كسّرت صمت النوافذ
آه
والبحر انتهى
في قطرتين على الملاءه.

- ٢ -

للريح أغنيتان
أنت فتحت نافذة الصباح
وظل وجهك موصداً
ورسمت قلبك طائراً
ورميته.

للريح أغنيتان
أنت نسفت أسوار البلاد
وظل وجهك قائماً
بيني
وبين الماء والطرقات
للريح أغنيتانْ
القلب والسكين
لا ترمي العصافير الصغيرة بالنبالِ
لو جاءتْ الريح
اجتمعنا خلف أغنية
أو ضجّت الريح
ارتدينا ضجة المطر.

- ٣ -

الآن أبدأ رحلتي عبر انهيارات المباني
والرصاص.
شيء خفيّ كان يفزعني إذا خبأت قلبي في القرار
شيء خفيّ كان يسرقني لأسقط في الدوار.
مضت القطارات التي دفعت إلينا
بالمحطات الخجولة من حقائبنا
نحن الصغار الذاهبون إلى الأماكن
لم نفكر
كيف يمكن أن تكون الأرض
آن نشدّها لتدور
دوري
فالظلام يهاجم الطرقات
يشعل في الظهيرة ليلة الفحم
القطارات:
المرور إلى العوالم خلف أطياف الجثث

★ ★ ★

ميسون، هل أيقظت شيئاً
كان يمكن أن يظل ملازماً للموتْ؟!
لن يستريح النهر والموتى يطوفون الشوارع
في الصباح..
تفرّقي
فالموت لازم وحدة الأعضاء
تنجبك المصانع مرّة أخرى
وأطلع من يديك
ونتّحد.

★ ★ ★

أحرقت وجهك مرة
فكرت:
هل أحرقت شيئاً؟
كان الصباح يمرّ من بردى
ويسأل:
- أين السلال؟
سلالنا للريح
والريح احتسَت اسماءنا
- مهلا..
صباح الخير، يا بردى
سننتظر القطار.

★ ★ ★

لم يبق من صوت يدب
الوجه منشطر،
وأنصاف المباني تستدير!
سأستمر مع السهول، أرشّ ثرثرة الصغار
وأجمع الموتى من الطرقات
أدفنهم
فالقمح ينضج في التراب
وفي الوجوه.

★ ★ ★

ميسون
هل نمت؟
الرصاصُ يشرّد الأحياء والموتى
لا توصدي - الأبواب في هذا المساء
ستزور غرفتك الشموسُ
تثير أجوبة الظهيرة
إنهضي
احتفلي بقامات النخيل
وبالشوارع آن ترعد
حطّمي كل النوافذ
أطلقي الوطن المسالم من دوائر صمته
فوراء جدران البيوت تنام أفئدة العراة
تحيلها الظلمات أسئلة مشوّهةً
ويضطجع الجنود، بلا رؤوس
يطلقون نشيد غفلتهم
ويرتسمون رعباً في العيون.

★ ★ ★

الآن أعرف، يا صديقتيَ الصغيرة
كيف يمكن أن تصير الأرض آن نشدّها لتدور
كرة من الصخر العجيب
بحيرتين.
وطفلة تعدو
وراء فراشة خضراء

دمشق